

تأملات في فلسفة سارتر

Contemplations in Sartre's philosophy

عبدالرحمان بوشيوخ*

جامعة جيلالي ليايس

سيدي بلعباس / الجزائر

Bouchikhdahmane@gmail.com

تاريخ الارسال: 2024/08/11 تاريخ القبول: 2025/05/11 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

تدور فلسفة جان بول سارتر حول مفهومين رئيسيين: الوجودية والحرية الشخصية. يعتبر سارتر أحد أبرز فلاسفة القرن العشرين، وقد تعمق في أسئلة الوجود الإنساني والمعنى الحقيقي للحرية. ووفقاً لرؤيته، يعيش الإنسان في عالم خالٍ من المعنى القبلي، الذي يجبر الأفراد على اختيار مصيرهم بحرية وتحمل مسؤولية أفعالهم، دون أي قيود خارجية أو معايير مسبقة. كما أكد سارتر على أهمية التفكير بعمق في القرارات التي يتخذها الشخص وكيفية تأثيرها على تشكيل هويته وتوجيه مسار حياته بحرية. الكلمات المفتاحية: جان بول سارتر، الوجودية، الحرية، الإنسان، الهوية.

Abstract:

The philosophy of Jean Paul Sartre revolves around two basic concepts, namely the existentialism and the personal freedom. Sartre is one of the prominent 21st century philosophers. He delved deep in the issues of the human existence and the real meaning of freedom. According to his view, man lives in a world free of the posterior meaning, which obliges the individuals to freely choose their fates and take responsibility of their actions without external restrictions or preconditions. In addition, Sartre insisted on the importance of the deep thinking about the decisions taken by the individual and their effects on the identity formation and the life orientation.

Key words: Jean Paul Sartre; Existentialism; Freedom; Human; Identity.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

في فلسفة جان بول سارتر، يبرز التركيز على مفهوم الوجود وكيفية تفاعل الإنسان مع العالم ومع نفسه. يُعتبر سارتر من أبرز المفكرين في الفلسفة المعاصرة، حيث يتناول هذا العمل مجموعة من التأملات والأفكار التي طرحها الفيلسوف الفرنسي، والتي تتعلق بمفاهيم الوجودية، واللاشيء، والحرية، والمسؤولية، والعلاقات الإنسانية، والغربة، والفن، والدين، والسياسة، والموت. يهدف هذا العمل إلى تسليط الضوء على هذه القضايا المعقدة والتأمل فيها من خلال عقلانية سارتر ورؤيته الفلسفية المتميزة.

أ. مشكلة الدراسة

يمكن تسليط الضوء على جوانب هذه الدراسة من خلال طرح مجموعة من التساؤلات، أبرزها:

- ما هو مفهوم سارتر للوجود، وما الفرق الذي يضعه بين "الوجود قبل الجوهر" و"الجوهر قبل الوجود"؟
- كيف يفسر سارتر العلاقة بين الحرية الفردية وتحمل المسؤولية؟
- كيف يتناول سارتر مسألة التوتر بين الأفراد والمجتمع في إطار مفهومه للحرية؟
- كيف يفسر سارتر مفهوم "الشرط البشري"؟ وما هو تأثير هذا الفهم على رؤيته للأخلاق؟
- ما هو دور "الأخر" في فلسفة سارتر، وكيف يؤثر ذلك في تشكيل الذات والهوية؟

1. فلسفة سارتر:

تتميز فلسفة سارتر بالإلحاد وتعرف بالوجودية الملحدة، حيث يرفض الإيمان بوجود الله ويتمرد عليه. هذا التمرد لم ينشأ من نزوع عقلائي، بل صاحبه الإرادة التي رفضت الإيمان بالله. ومن خلال هذا الرفض، يفترض وجود الله، ولكن إرادة سارتر ترفض ذلك بسبب عدم تقديم الله حماية وضممان من المحن التي واجهتها البشرية خلال الحروب العالميتين. لذلك، يمكن اعتبار إلحاد سارتر وجماعته إلحادًا هجومياً، حيث لا يهتمون ببراهين العقل العقلانية. ويعكس إلحادهم هذا حالة نفسية غير عادية، ويمكن اعتباره تعبيراً عن حالة مرضية. وبالرغم من ذلك، يعتبر سارتر أنّ الإيمان بوجود خالق ليس مهماً، حيث تؤكد الوجودية الملحدة أنّه حتى في غياب إله خالق، هناك كائن واحد على الأقل وجوده يسبق طبيعته،

وهو الإنسان. هذا الكائن يتواجد قبل أن نتمكن من تعريفه بأي مفهوم، وإنّما المشكلة تكمن في الإنسان نفسه، الذي يجب أن يجد نفسه ويدرك أنّه لا يمكن لأيّ قوة خارجية أن تحرره، "إضافة إلى أنّ هيدغر ينظر إلى الوجود كعطاء، وهذا يتطلب من الإنسان قدرة على الإصغاء لنداء الوجود"⁽¹⁾

والباحث في فلسفة سارتر تطالعه بعض الاصطلاحات:

الوجود، الماهية، الموقف، الاختيار، المسؤولية، القلق، الحرية، الذاتية، الالتزام.
وتفسير هذه المصطلحات كالآتي:

يقول سارتر: الإنسان يوجد أولاً غير محدد بصفة ثم يلقي بنفسه في المستقبل وذلك بالأفعال التي يؤديها. ولهذا فإنّ الإنسان أولاً مشروع وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، بل الإنسان هو الذي يصمم مستقبله "الإنسان يولد ثم يسعى لتحقيق طموحاته، ويصبح ما يرغب في أن يصبحه بعد أن يخوض تجربة الحياة"⁽²⁾. وما دام الإنسان مشروعاً وتصميماً يضعه لنفسه فإنّه بالضرورة مسؤول عما يكون عليه. ولا تقتصر هذه المسؤولية عليه وحده بوصفه فرداً، بل تمتد إلى الناس جميعاً. فباختيارنا لصورة أنفسنا تشكل في الوقت نفسه صورة الإنسان. وهذه المسؤولية الكبيرة التي تمس الناس جميعاً لا بد أن تثير في الإنسان القلق البالغ. إذ كيف لا أكون مهماً والقرار الذي اتخذته وإن بدا في الظاهر أنّه قرار شخصي إنما هو قرار يمس جميع البشر؟، وهنا يعتقد سارتر أنّ الإنسان يتمتع بالحرية في اتخاذ قراراته، لكنه في الوقت ذاته يتحمل مسؤولية تلك القرارات. لا يمكن للأفراد التهرب من واجباتهم، فكل خيار يقوم به الشخص يساهم في تشكيل هويته.

وهناك نتيجة تسبق الوجود على الماهية عند سارتر هي الحرية. فمادام الإنسان في بدء وجوده ليس شيئاً وما دام هو الذي سيصمم نفسه فهو لا بد حر، بل هو الحرية نفسها. وبهذه الحرية يخلق الإنسان نفسه بنفسه "فالحريات إذن قوى متعالية، يحقق أصحابها وجودهم من خلالها، كما يشاركون عن طريقها في تحقيق المواقف الإنسانية"⁽³⁾، مما يعني أنّ الإنسان يأتي إلى الحياة دون أي معنى محدد، ويتوجب عليه أن يبتكر معناه الخاص من خلال أفعاله واختياراته. ومنه يشير مصطلح "مسرح المواقف" إلى الظروف التي يواجهها الأفراد، حيث يتم اختبار حريتهم من خلال الخيارات المتاحة لهم في حياتهم اليومية. والتحدي يكمن في كيفية التصرف في ظل هذه الظروف.

لذلك، كان تمجيد الفعل أحد القيم الأساسية في فلسفة الوجودية، حيث يُقال أنَّ وجود الإنسان يتمثل في أفعاله. وأكد سارتر في أعماله على أهمية الحرية، ودعا إلى الالتزام في فلسفته وطالب به معظم شخصياته. ونتج عن ذلك مسرح خاص بسارتر يُعرف بمسرح المواقف، إذ يُعتبر الآخرون جزءاً لا يتجزأ من التجربة الإنسانية. يتفاعل الأفراد مع من حولهم، مما يؤثر على قراراتهم وهويتهم. وتُعد نظرية "النظرة" لدى سارتر من المفاهيم الأساسية التي توضح كيف يمكن أن يؤثر الآخرون على تجربة الفرد، حيث يقول "عن طريق الموقف، كان علينا أن نعرض في المسرح مواقف بسيطة وإنسانية، وحرّيات تختار نفسها في مواقف"⁽⁴⁾، وسنتحدث الآن عن الموقف الأدبي ومقوماته، وسنتقل بعد ذلك إلى مناقشة مشكلة الحرية والالتزام عند سارتر. سنستخدم هذه الأفكار لإلقاء الضوء على مسرح سارتر ورؤية شخصياته بوضوح على خشبة المسرح.

أ. الموقف الأدبي:

أصبح الموقف من الاصطلاحات الفلسفية في العصر الحديث يعتبر أمراً هاماً. ويعني الموقف علاقة الإنسان ببيئته وبالأخرين في زمان ومكان محددين، حيث يكشف الإنسان عن ما يحيط به من أشياء ومخلوقات، سواء كانت وسائل لتحقيق أهدافه أو عوائق تعيقه في سبيل تحقيقها. ولا يمكن للإنسان أن يتخذ موقفاً دون وجود مشروع يقوم به، يرتبط فيه بالعوامل المحيطة به ويسعى لتجاوزها من خلال مشروعه نحو هدف يسعى لتحقيقه، "وبهذا نجد أنَّ الندم، والضمير، ومثل هذه الأمور لم تعد لها مكان في الدراما الوجودية الحديثة، حيث حلت مكانها أمور أخرى مثل الحرية والمسؤولية والموقف والاختيارات"⁽⁵⁾ وهذه العوائق، مهما كانت، تحدد مسار مشروع الإنسان وتكشف عن حريته.

يجب أن تكون حرية الإنسان محددة بتلك العوامل، حتى لا تصل إلى درجة الوهم أو تنخفض إلى درجة السلبية التي تمنعه من التفكير في تغيير وضعه الحالي. فالموقف يتألف من العوائق والمقاومة لها في نفس الوقت، ومن خلاله يتحقق تغير الإنسان بناءً على مشروعه والجهد الذي يبذله في تحقيقه. ومن خلال هذا الموقف، يتحقق وجود الإنسان من خلال العمل والصراع، حيث يكون في حالة معينة ويسعى لتجاوزها في الوقت نفسه. فالوجود الإنساني المشروع هو وجود في موقف.

تلك هي المعاني التي تربط الموقف في المسرحية بالواقع في الحياة. فكل مسرحية تحتوي على موقف أو مواقف متعددة، والبنية الفنية فيها تحمل معاني عميقة ترتبط بالعالم الذي تعيش فيه الشخصيات. وهذا الموقف العام لا يمكن فهمه إلا من خلال القوى الوظيفية لكل شخصية وسلوكها تجاه هذا الموقف. وهذه القوى الوظيفية المتنازعة تظهر في مواقف كل شخصية على حدة، " فالشخصية هي صفة نسبية وقوة سرية تتواجد في كل فرد إلى حد ما، وتتفاوت في نوعها وشدتها من شخص لآخر" ⁽⁶⁾ وهذا هو الموقف الخاص الذي يجب فهمه في سياق الموقف العام.

في مسرحية "الشیطان والإله الطيب"، تتناول فكرة الخير والشر كما يراها سارتر، حيث يعتبرهما واقعين متحركين نسبين يعتمدان على الوضع الفردي ولا يمكن تحديدهما بشكل مطلق مسبقاً. ويقوم بطل المسرحية بمهاجمة الفكرة التي تقول بوجود خير وشر مطلقيين، ويحاول تحقيق فكرة الخير مع أشخاص لا يمتلكون فهمًا صحيحًا للخير. وهذا الاعتقاد الخاطئ يجعله يشعر بالضيق ويقدم جدوى الناس والله حتى يتخلص من إيمانه الخاطئ في نهاية المسرحية.

هذا هو الموقف العام الذي يتمثل فيه دور وظيفة كل شخصية من شخصيات المسرحية والصراع الذي يحدث بينهم. ويختلف موقف المسرحية عن موضوعها، حيث يتنوع الموضوع بين أشكال مختلفة على يد الكاتب، "ولكن الهدف بينهما مشترك وهو التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد في موقف معين، حتى يمكن ضبطه والتحكم فيه" ⁽⁷⁾، وبينما يتخذ الموقف العام في المسرحية طابعاً مميزاً يتجاوز التشابه السطحي مع مسرحيات أخرى، قد تتشارك هذه المسرحيات في مواقفها العامة، مما يجعل هذا التشابه رابطاً فنياً أقوى من مجرد التشابه السطحي في الموضوع.

على سبيل المثال، إذا أخذنا فكرة الخير والشر كوجه شبه بين مسرحيتي "الشیطان والإله الطيب" لسارتر و"الهالك لنقص إيمانه" لتيرو دو مولينا، وهما عملان يتناولان قضايا فلسفية ودينية عميقة، لكن بأساليب مختلفة. في العمل الأول، يستعرض "سارتر" أفكاره حول الوجودية والموقف الإنساني، حيث يسعى لمناقشة مفهوم الحرية والاختيار وتأثيرهما على فهم الإنسان لوجوده. كما يتناول في هذا السياق صراع الإنسان مع فكرة الإله وكيفية تصويره للخير والشر، بالإضافة إلى دور الشيطان كرمز للتمرد والتحرر من القيود المفروضة. أما في المسرحية الثانية، يعكس "دومولين" صراع الإنسان مع الإيمان والشك،

حيث يتناول موضوع الشك والإيمان وتأثيرهما على العلاقات الإنسانية. ويناقدش "دومولينا" مفهوم الهلاك الناتج عن نقص الإيمان، مما يؤدي إلى الشعور بالعزلة والضياع، مشيرًا إلى التحديات التي يواجهها الإنسان في سعيه للبحث عن المعنى في عالم مليء بالشكوك. كان هذا الشبه سطحيًا، لأن فكرة الخير والشر مختلفتان في المسرحيتين السابقتين، بينما يسلط سارتر الضوء على الحرية الفردية وصراع الإنسان مع مفهوم الإله، ويستعرض دومولينا تأثير غياب الإيمان على النفس البشرية.

يتناول كلا العاملين صراعات داخلية عميقة، لكن من وجهات نظر مختلفة؛ حيث يركز سارتر على الوجودية والحرية، بينما يتناول "دومولينا" مواضيع الدين والإيمان، ومنه "فإن مصدرهما الدائم هو الحرية. وبالتالي، فإن جميع هذه العواطف تُعتبر عواطف نبيلة، حيث أنني أعني بالعاطفة النبيلة تلك التي تنبع من الحرية وتستهدفها"⁽⁸⁾.

عند الحديث عن تحديد الموقف العام في المسرحية، يتوجب علينا النظر إلى الصراعات والتناقضات بين الشخصيات المختلفة حول موضوع معين، وكيف تتطور هذه الصراعات لتصل إلى نتائج ذات دلالة. يتجلى من خلال هذا الموقف العام وجود قوى متنافسة تسعى لتحقيق أهدافها، وتأثير هذه القوى على سير الأحداث في المسرحية.

في هذا السياق، كانت نظرة الكاتب الفرنسي جان بول سارتر للموقف وعلاقته بالمسرح متميزة. فقد أولى سارتر اهتمامًا خاصًا لمفهوم الوجودية والحرية الفردية، حيث اعتبر أن "الوجودية تمثل فلسفة أزمة وموقف، فلسفة عمل ونضال، وتجسد أهم قضايا العصر من خلال أبعادها النفسية العميقة وتوجهاتها الإنسانية العامة"⁽⁹⁾، وكيفية تأثير هذه العوامل على تطور الشخصيات والصراعات في المسرحية. بالإضافة إلى ذلك، كان لديه تصور مغاير بشأن دور المساعدين والأعوان في تطور الأحداث، وكيف يمكن أن يؤثروا على مجريات الصراعات والمواجهات بين الشخصيات.

باختصار، مسرح المواقف لدى سارتر هو إطار يستعرض كيفية تفاعل الأفراد مع حريتهم ومسؤولياتهم في الحياة. يعكس هذا المفهوم صراعاتهم الداخلية ومعاناتهم مع الآخرين، وكيف يمكن أن تؤثر تلك التفاعلات على هويتهم ووجودهم. إنه دعوة لاستكشاف الذات والعيش بوعي كامل في كل لحظة من لحظات الحياة.

2. مسرح المواقف عند سارتر:

مسرح المواقف هو مفهوم جوهري في فلسفة جان بول سارتر، الذي يُعد من أبرز الفلاسفة الوجوديين. يعكس هذا المفهوم فكرة أن الأفراد يعيشون في مواقف محددة تستدعي منهم اتخاذ قرارات معينة، ويعتمد وجودهم المعنوي على تلك القرارات.

قال سارتر: في الماضي، كان المسرح يُعتبر ساحة لتحليل نفسي للشخصيات، حيث كانت تُعرض شخصيات معقدة أو بسيطة بشكل كامل في سياق حياتها. ولم يكن للموقف دور سوى وضع هذه الشخصيات في صراع مع بعضها البعض، بمعنى "قدرة الفرد على التأثير في الآخرين، كما نقول إنَّ فلاناً شخص قوي ومؤثر على من حوله، حيث تتقابل الشخصية القوية المؤثرة مع الشخصية الضعيفة المتأثرة، وهكذا."⁽¹⁰⁾ مما يؤدي ذلك إلى تغيير حياة كل شخصية نتيجة تأثير الآخرين عليها. ومع ذلك، طرأ تحول في هذا السياق، حيث عاد العديد من الكتاب إلى مسرح الأحداث وابتعدوا عن تحليل الشخصيات. وبالتالي، أصبحت الحريات محدودة، "فلم يعد الكتاب سوى وسيلة لتغذية الكراهية أو الرغبات"⁽¹¹⁾.

أ. العلاقة بين المسرح والموقف:

العلاقة بين المسرح والموقف تعكس تفاعل الأفراد مع السياقات الاجتماعية والنفسية التي يمرون بها. إليك بعض الجوانب التي توضح هذه العلاقة:

ب. المسرح كفضاء للتعبير عن المواقف:

- تجسيد الحقيقة: يُعتبر المسرح ساحة لتجسيد المواقف المتنوعة التي يواجهها الأفراد في حياتهم، "لذا، يجب على الفرد أن يحدد موقفه الوجودي بشكل أعمق"⁽¹²⁾، حيث يعكس التفاعلات الإنسانية والصراعات والقرارات التي يتخذها الأفراد في ظل ظروف معينة.
- التعبير عن العواطف: يوفر المسرح منصة للتعبير عن المشاعر والأفكار المرتبطة بالمواقف المختلفة، مما يساعد الجمهور على فهم تجارب الشخصيات.

ج. الموقف كعنصر أساسي في المسرحية:

- تطوير الشخصية: يتحدد سلوك الشخصيات في المسرحية بناءً على المواقف التي تواجهها مثل: الشجاعة، الخجل، الطموح، الحب، الصراع، الحرية، المسؤولية، وهذا ما لحظناه في مسرحية "لا مفر" لجان بول سارتر والتي يعتبر فيها الحرية أعلى قيمة في حياة الإنسان، وهو أحد المواقف التي اتخذها ليظهر فلسفته الوجودية⁽¹³⁾ تأثير هذه المسرحية في نفس المتلقي شعورًا بالرهبة والارتعاش نتيجة الطوفان من الأسئلة الوجودية المحيرة والمقلقة، التي تمس جوهر الوجود الإنساني المتعثر. تتناول هذه التساؤلات مواضيع العبث، الموت، الحرية، الفعل الإنساني، المسؤولية، وتعييدات النفس البشرية، بالإضافة إلى قضايا الشر، الندم، وسوء النية. كل هذه التعقيدات تؤدي إلى تطور الشخصيات وتحولاتها خلال العرض.
- التوتر والصراع: تُعتبر المواقف محورًا لصنع التوتر والصراع في المسرحية، حيث تتفاعل الشخصيات مع المواقف التي تتطلب منها اتخاذ قرارات تؤثر على مجرى الأحداث. وعبر هذه الصراعات، يستطيع الجمهور استكشاف جوانب متنوعة من الشخصيات، مما يعزز من فهمهم وتعاطفهم تجاهها. على سبيل المثال: الصراع الداخلي "لأورست" في مسرحية "الذباب" بين الرغبة في الانتقام وصوت الضمير يولد توترًا شديدًا.

د. الموقف كوسيلة لتعزيز التفكير النقدي:

- طرح التساؤلات الوجودية: يتيح المسرح للجمهور التفكير في مواقفهم الخاصة من خلال عرض قضايا وجودية معقدة، مما يدفعهم للتفاعل مع أفكار حول الحرية، المسؤولية، والاختيار. ويؤكد سارتر "أن الإنسان يمتلك حرية في اتخاذ قراراته، وأن هذه الحرية ترتبط بالمسؤولية"⁽¹⁴⁾. كل موقف يواجهه الشخص يعد فرصة للاختيار، وهذا الاختيار يسهم في تشكيل هويته.
- التفكير في القيم: من خلال المشاهد أو المواقف المقدمة على المسرح، يستطيع الجمهور إعادة النظر في القيم والمعايير التي يستندون إليها في حياتهم.

د. تفاعل الجمهور مع المواقف:

- التعاطف والمشاركة: يعمل المسرح على بناء جسر يربط بين الشخصيات والجمهور، مما يتيح للجمهور فرصة الشعور بالتعاطف مع الشخصيات من خلال مواقفهم، وبالتالي يعزز من عمق التجربة المسرحية.
- التفاعل المباشر: تتيح بعض أنواع المسرح، مثل المسرح التفاعلي، للجمهور القدرة على التأثير في المواقف والأحداث، مما يعزز من تفاعلهم مع العرض.

و. البنية الدرامية:

- هيكلية القصة: تعتبر المواقف الأساس الذي يقوم عليه البناء الدرامي، إذ تتطور الأحداث من خلال تصاعدها وتغيرها، مما يترك أثرًا على الشخصيات والنهاية.
- تُظهر العلاقة بين المسرح والموقف كيف يمكن للأداء المسرحي أن يعكس الحياة البشرية وتجارب الأفراد، بينما يتيح للجمهور فرصة لاستكشاف وفهم المواقف المختلفة التي يواجهونها في حياتهم. يصبح المسرح وسيلة للتعبير عن التعقيدات الإنسانية، مما يعزز الفهم والتعاطف.
- يؤكد سارتر على أهمية قدرة الإنسان على اختيار مصيره في المواقف التي يواجهها. "ويعتبر أنّ المسرح ينبغي أن يقدم مواقف بسيطة وإنسانية تعكس حرية الاختيار. كما يبرز أهمية وحدة المتفرجين كعنصر أساسي لوجود المسرح، مشددًا على ضرورة أن يختار الكاتب المسرحي مواقف تعبر عن قضايا جوهرية، ويقدمها للجمهور كمسائل تتطلب التفكير والاختيار"⁽¹⁵⁾.

على الرغم من رغبة سارتر في مواجهة المواقف الصعبة، إلا أنه يعتقد أنّ الحرية تتجلى في اختيار الخير والإرادة الصالحة. يرى أنّ الحريات تمثل قوى عظيمة، وفي بعض الأحيان قد يتطلب الأمر الاختيار بين الحياة والموت. لذا، يجب على الإنسان أن يتصرف بحكمة ليتمكن من اختيار الحياة في كل موقف يواجهه.

3. الأخلاق في فكر بطل سارتر أو البطل الوجودي:

الأخلاق في فلسفة بطل سارتر، المعروف بالبطل الوجودي، تتميز بعدة سمات أساسية تعكس مبادئ الفلسفة الوجودية التي تبناها. إليك بعض الجوانب الرئيسية لفهم الأخلاق في سياق شخصية البطل الوجودي:

أ. الحرية والمسؤولية:

- حرية الاختيار: يمثل البطل الوجودي الفرد الحر الذي يتحمل مسؤولية قراراته. كما يرى "سارتر"، لا يمكن للإنسان الفرار من حريته، ويجب عليه أن يحدد القيم والمعاني التي يعيش وفقًا لها بنفسه. "فمن خلال اتخاذ قرارات حرة وتحمل المسؤولية، يتمكن الإنسان من تحقيق ذاته الحقيقية" (16).
- المسؤولية الفردية: تأتي المسؤولية مع الحرية. ينبغي على البطل الوجودي تحمل عواقب قراراته، مما يجعله يشعر بثقل المسؤولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين "بناءً على ذلك، عندما يصرح زعيم الوجودية المعاصرة بأن الإنسان مسؤول عن نفسه، فإنه لا يقصد بذلك مسؤولية الفرد فقط، بل يشمل أيضًا مسؤوليته تجاه جميع الناس" (17).

ب. عدم وجود قيم مطلقة:

- الأخلاق النسبية: لا يستند البطل الوجودي إلى قيم أو معايير أخلاقية ثابتة. بل يقوم بتشكيل معايير الأخلاق الخاصة استنادًا إلى تجاربه ومواقفه الفردية، مما يجعل الأخلاق تتشكل من خلال السياقات الشخصية والاجتماعية التي يمر بها.
- العبثية: يعبر البطل الوجودي عن إحساس بالعبثية في العالم، مما يحفز على السعي نحو إيجاد معنى شخصي في حياة قد تبدو فارغة من المعنى.

ج. تجسيد القيم من خلال الأفعال:

- الأفعال كمصدر للقيم: يؤمن البطل الوجودي بأن القيم تُكتسب من خلال الأفعال وليس من خلال المبادئ النظرية. تصرفاته ومواقفه هي ما يحدد قيمه، وليس أي مجموعة سابقة من المعتقدات.
- الاستجابة للتحديات: تتجلى قيم البطل من خلال كيفية استجابته للتحديات التي يواجهها، مما يعكس قناعاته الأخلاقية.

د. الوجود مع الآخرين:

- التفاعل الاجتماعي: يعيش البطل الوجودي في مجتمع، مما يجعله يتفاعل مع الآخرين ويؤثر عليهم. تلعب هذه التفاعلات دورًا مهمًا في تشكيل أخلاقه حيث يؤثر الآخرون في خياراته وقراراته، "وتلك هي ذروة الموقف الوجودي، أو على حد تعبير سارتر "عذاب

الإنسان"، فالحياة هي هذا الجحيم، ولكن الفرار من الحياة هو الجحيم. والبطولة عند الوجوديين ليست في الفرار ولكنها في الاستمرار⁽¹⁸⁾. استنادًا إلى ذلك، يتجلى تأكيد وجود الفرد وتعزيز قيمة الذات من خلال العلاقات الداعمة.

- الآخر كعائق وكمصدر للمعنى: يمكن أن يُعتبر الآخرون عائقًا في بعض الأحيان، لكنهم أيضًا مصدر للمعنى والتعاطف، مما يعزز التجربة الإنسانية. "لأن صورة كل فرد عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه"⁽¹⁹⁾، وهذا ما يظهر أهمية إنشاء بيئات تتيح للأفراد تنمية قيمة ذاتية لا تعتمد على التقييم الخارجي.

هـ. التمرد والاختيار:

- التمرد على القيم التقليدية: يتمرد البطل الوجودي على القيم والتقاليد المفروضة، ويسعى لإنشاء نظامه الأخلاقي الخاص الذي يتناسب مع تجربته الفردية "من خلال اتخاذ قرارات حرة وتحمل المسؤولية، يتمكن الإنسان من تحقيق ذاته الحقيقية"⁽²⁰⁾

- الشجاعة في الاختيار: يتطلب وجود البطل الوجودي شجاعة في اتخاذ القرارات، خاصة عندما تكون الخيارات غير مريحة أو تتعارض مع القيم السائدة.

تتسم الأخلاق عند بطل سارتر الوجودي بالحرية والمسؤولية، حيث يكون كل فرد مسؤولاً عن خلق قيمه ومعانيه من خلال اختياراته وأفعاله. يعيش هذا البطل في عالم مليء بالعيبية، ويجب عليه مواجهة التحديات بشكل فردي، مما يعكس جوهر الفلسفة الوجودية التي تنادي بالحرية الفردية والاختيار الشخصي.

يمكن أن تُفهم نظرية سارتر الأخلاقية على أنها تدعو إلى منح معنى ديناميكي لكلمة "قيمة"، مما يتعارض مع فكرة الحضارة التي تعتمد على تجارب ثابتة ومجمدة "لا شك أننا هنا أمام رد فعل صحيح ضد مختلف النزاعات الحتمية التي انتقصت من قيمة الإنسان"⁽²¹⁾ ومع ذلك، يجب التمييز بين رفض القيم القديمة التي تعيق التقدم وبين إنكار جميع القيم وإبعاد الإنسان عن سياقه الاجتماعي والإنساني. يعتبر سارتر أن "المشكلة الأخلاقية" هي مسألة شخصية تحمل طابعًا تاريخيًا دراميًا، ولا يمكن لأي فيلسوف أو عالم اجتماعي أن يستوعبها بشكل كامل.

تتميز الفلسفة الوجودية بتفوقها على الأخلاق من خلال تركيزها على تأثير العوامل التاريخية والدرامية في تشكيل القيم الأخلاقية الفردية. يؤكد الوجوديون أن الفرد لا يعيش

في فراغ تاريخي، بل يواجه ظروفًا معقدة يصعب تحديدها بدقة. عندما يحقق الفرد تطورًا أخلاقيًا، فإنّه يتحمل المخاطر في الحاضر والمستقبل، مستخدمًا حريته لاستكشاف إمكانياته. هذه الحرية ليست مجرد "استقلال ذاتي"، بل هي حرية نشطة تتطلب مواجهة الصراعات والتوترات والتحديات. بينما كانت الحرية في الفلسفات التقليدية تعني "العقل المنتصر" الذي يسيطر على الذات والكون، "فإنّ الحرية في الفلسفة الوجودية تعكس نضالًا مستمرًا يتطلب من الفرد بذل جهود كبيرة لبناء حياته بنفسه" (22).

ووفقًا لرؤية الفيلسوف الوجودي المعاصر "جورج جدورف"، تُعتبر الأخلاق الوجودية قائمة على أهمية ضمير الفرد، وتشجع على تشكيل السلوك بناءً على الحرية الشخصية. في رأيه، الحرية ليست حقيقة ثابتة أو مجرد نتيجة حسية، بل هي إنجاز يتجدد يوميًا ولا يمكن أن تتحول إلى حالة دائمة. وهذا يعني أنّ الحرية الأخلاقية تمثل جهدًا مستمرًا للانتقال من عالم "الطبيعة" إلى عالم "الأخلاق"، لكن هذه الحرية تظل دائمًا ناقصة وغير مكتملة، وتعيش في حالة من الاضطراب والحاجة المستمرة إلى مزيد من الاستقرار. ومع ذلك، فإنّ هذا الاضطراب هو ما يمنح وجودنا معنى، ويبرز الإمكانيات التي يجب علينا السعي لتحقيقها. ربما كانت هذه هي الفكرة التي أرادت "سيمون دي بوفوار" التعبير عنها عندما كتبت: "الحرية تظهر لنا دائمًا كحركة تحرر، وعندما يسعى الإنسان لتحقيق النجاة لوجوده، يجب عليه أن يرتقي بذاته من الطبيعة الأولية إلى مستوى الحرية الخلقية، عبر تحديد هدف يعمل على كشف المضمون الفريد الذي يحمله"

4. الالتزام في مسرح سارتر:

الالتزام هو الطريقة التي يحدد بها الإنسان علاقاته مع الآخرين والأشياء بناءً على المعاني التي يضيفها عليها. نحن ملزمون بالالتزام حتى قبل أن نتخذ قرار الالتزام، لأنّ الإنسان لا يختار مكان ولادته أو بيئته أو القدرات التي يمتلكها. لذلك، ينبغي علينا اختيار الالتزام ضمن هذه الحدود التي تنشأ نتيجة لالتزامنا غير الاختياري. وإلا، فإنّ وجودنا سيكون مهّدًا بالزوال "والالتزام بالموقف أو في الموقف يستتبع إدراك قيم إنسانية جديدة، وأسباب إنسانية جديدة" (23).

الإنسان يواجه ظروفًا معقدة، سواء كانت حتمية لا يمكن تجنبها مثل الوراثة أو البيئة، أو اختيارية يتحملها لتحقيق أقصى إمكانياته في الحياة. هذه الظروف تُعرف بالموقف

الوجودي. يتطلب الالتزام بهذا الموقف وعيًا بالقيم الإنسانية والاجتماعية التي تتجاوز التجربة الفردية، من أجل إحداث تغيير إيجابي. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال فهم الأسباب والملايسات التي تشكل مفهوم الحرية الإنسانية. وهذا ما يُعرف بأدب الالتزام أو أدب الموقف، حيث يعبر الكاتب بوضوح عن موقفه تجاه قضايا عصره.

في أدب الوجوديين، لا يُعتبر الشكل قيمة قائمة بذاتها، بل يُنظر إلى الأسلوب كوسيلة لتحقيق هدف معين. ولا يمكن فصل الشكل عن المضمون، إذ إن غياب أي منهما في العمل الأدبي يجعله يُعتبر غير جيد. ومع ذلك، استثنى سارتر الشعر والنحت والتصوير والموسيقى من هذا الالتزام، حيث لا تُعتبر أشكالها الفنية ملزمة بحد ذاتها.

باختصار، المسرحية تمثل فعلاً، ولا يحق للكاتب الانسحاب من المعركة والاكتفاء بالمشاهدة من مكان آمن كالمُفرج. تعتبر هذه الدائرة الأخلاقية ساحة لصراعات الأبطال في أعمال سارتر، حيث يسعون لتحقيق ذواتهم من خلال المشاريع التي يختارونها بحرية كاملة.

5. حرية البطل عند سارتر:

في جميع مسرحيات سارتر، يتجلى موضوع الحرية كمحور رئيسي. على الرغم من وجود مواضيع أخرى في القصص، إلا أنّ الحرية تظل النقطة المحورية التي تحكم أحداث وأفكار العمل "وهذا يعزز مفهوم الحرية التي لا تحدّها أي قيود. فتصرفاتنا تنبع من داخلنا دون أن تفرض عليها أي قيود أو دوافع خارجية." (24)، يعتبر سارتر أنّ البطل الوجودي يجب أن يكون حراً، وأن يتخلص من أي تحديدات قد تكون وراثية أو اجتماعية. الحرية يجب أن تنبع من داخل الإنسان وتكون جزءاً من وجوده.

في حديثه عن إيميل زولا، يبرز سارتر أنّ شخصياته تتمتع بالحرية في اتخاذ قراراتها وأفعالها، بينما تظل شخصيات زولا محصورة ومقيدة. ويؤكد سارتر أن الشخص الجبان يختار أن يكون جباناً، بينما البطل يختار أن يصبح بطلاً، مما يعني أنّ بإمكان أي شخص تغيير هويته والتخلي عن الصفات التي تحدده.

لكن هل يتمتع بطل سارتر بالحرية الحقيقية التي يتحدث عنها؟ عند تحليل مسرحيته "الشیطان والإله الطيب"، نجد أن بطل سارتر، رغم وعيه واستنارته، لا يستطيع البحث عن مشاعر جديدة في أماكن أخرى غير تلك التي اعتاد عليها. هل الحرية التي يدعيها سارتر ليست سوى قشرة خارجية؟ هل يقف سارتر خلف شخصياته، يتحكم في مصائرهم ويقضي عليهم؟

كما قال "سان جوست": "بنفس الحجارة يمكنك أن تبني معبدًا للحرية أو قبرًا". هل منح سارتر أبطاله فرصة الإله؟ في جوهرها، تمثل المسرحية الوجودية تعبيرًا عن البعد الميتافيزيقي الذي يعيشه الإنسان. يظهر هذا البعد في المسرحية من خلال مواقف متناقضة، أحداث معقدة، ومشاعر متضاربة. يمكننا تصنيف هذه المسرحية على أنها تنتمي إلى فلسفة سارتر، حيث تتجلى أفكاره بوضوح من خلال التجربة الذاتية والدرامية والتاريخية.

عندما يعبر سارتر عن آرائه في مسرحياته، فإنه لا يفرضها على الأحداث أو الشخصيات، بل يدمجها في سياقها الواقعي، مما يتيح لها التعبير بحرية. أبطال سارتر ليسوا بالضرورة فلاسفة أو مفكرين، بل هم كائنات بشرية تواجه مصيرها وتغوص في قضاياها، مع وعي كامل بالتزامهم تجاه أنفسهم والعالم والآخرين.

6. سارتر وفكرة الخير والشر:

يؤكد سارتر "أنَّ الإنسان يمتلك حرية الاختيار، لكن هذه الحرية تأتي مع مسؤولية كبيرة. يجب على الأفراد أن يتحملوا عواقب أفعالهم، ولا يمكنهم إلقاء اللوم على الظروف أو المجتمع"²⁵. تركز فلسفة سارتر على مفهوم "الوجود يسبق الماهية"، مما يعني أن الإنسان لا يأتي مزودًا بقيم أو معاني مسبقة. بل يتعين على كل فرد أن يخلق معناه الخاص من خلال أفعاله واختياراته. وفقًا لسارتر، لا توجد معايير ثابتة للخير والشر، بل تُحدد هذه المفاهيم من خلال الاختيارات الفردية. لذا يمكن اعتبار الأفعال خيرًا أو شرًا بناءً على نتائجها وتأثيرها على الآخرين. نتيجةً لذلك، يشعر الأفراد بالقلق بسبب حرية الاختيار، حيث يتساءلون عن مدى صحة اختياراتهم وما إذا كانت تعكس قيمهم. هذا القلق هو جزء من تجربة الوجود، حيث يجب على كل فرد أن يتحمل عواقب اختياراته. وعلى الرغم من التركيز على الفرد، يؤكد سارتر أيضًا على أهمية الانخراط في المجتمع، إذ تؤثر اختيارات الأفراد على الآخرين، ومن هنا تأتي أهمية تحمل المسؤولية عن الأفعال.

يقدم سارتر تصورًا معقدًا للخير والشر، حيث يربط بين مفهوم الحرية والمسؤولية. يدعو الأفراد إلى التفكير في اختياراتهم وتأثيراتها على حياتهم وحياة الآخرين. في عالم يفتقر إلى معايير ثابتة، يصبح من الضروري أن نتحمل مسؤولياتنا الأخلاقية ونبحث عن المعاني التي تعكس قيمنا الحقيقية.

على سبيل المثال، في مسرحية "الشیطان والإله الطیب"، يتناول سارتر موضوع الخیر والشر ومدى نسبتهم. يطرح تساؤلات حول إمكانية تحديد الخیر والشر بشكل قانوني، ويتساءل عما إذا كانت الأخلاق قواعد ثابتة يجب الالتزام بها. كما يستفسر عن وجود خیر مطلق وشر مطلق، ويبحث في دور الإله في تقديم الخیر للبشرية. بالإضافة إلى ذلك، يتناول ما يحدث إذا أخفق الإنسان في إقامة علاقات إيجابية مع المجتمع.

يسعى سارتر إلى أن يكون العمل الأخلاقي خيارًا فرديًا بدلاً من كونه مجرد طاعة. لذا، يضع شخصياته في مواقف متطرفة حيث لا تنطبق القواعد التقليدية، مما يكشف عن جوهرهم. يعتقد بعض المفكرين أنّ فلسفة سارتر تدعو إلى الخمول واليأس، وتعزز الروح الفردية التي تنأى عن المجتمع ومشاكله. يرون أنها تقدم رؤية سلبية للحياة وتفتقر إلى المواقف الإنسانية الجادة، معتبرين إياها وسيلة للتفكك الاجتماعي، حيث يتحول كل فرد إلى كائن يعيش في عزلة عن الآخرين، بينما يحتاج المجتمع إلى التعاون والمسؤولية المشتركة.

الخاتمة:

- استناداً إلى تأملات جان بول سارتر الفلسفية، يمكن استخلاص النتائج التالية:
- أهمية الحرية الفردية: يتضح من أفكار سارتر أنّ الحرية ليست مجرد خيار، بل هي جوهر الوجود البشري. يتحمل الفرد المسؤولية الكاملة عن أفعاله واختياراته، مما يبرز دور المسؤولية الشخصية في تشكيل مسار الحياة.
- الوجود يسبق الجوهر: يؤكد سارتر أنّ الإنسان لا يولد مع غاية أو طبيعة محددة مسبقاً، بل يخلق هويته ومعناه من خلال أفعاله واختياراته. هذا يعزز فكرة أنّ الهوية ليست ثابتة، بل تتطور عبر التجارب الشخصية.
- الصراع مع "الآخر": توضح الفلسفة الوجودية لسارتر أنّ التفاعل مع الآخرين يلعب دوراً أساسياً في تشكيل الذات. فهم "الآخر" يساهم في بناء الهوية، لكنه أيضاً قد يكون مصدراً للصراع والتوتر.
- العبثية والبحث عن المعنى: تبرز فلسفة سارتر التوتر بين سعي الإنسان لإيجاد معنى في عالم غير مؤكد. هذه العبثية تدفع الأفراد للبحث عن القيم والمعاني بطريقة شخصية وذاتية.

- الانتقادات والردود: تشمل نتائج التأملات فهم النقد الموجه لفلسفة سارتر، مثل الاتهامات بالتحلل من المسؤولية الاجتماعية أو الاعتقاد بأن الحرية قد تؤدي إلى العزلة. كما يمكن تناول كيفية رد سارتر على هذه الانتقادات.
 - تطبيقات عملية في الحياة اليومية: توضح الفلسفة الوجودية كيف يمكن للفرد تطبيق مبادئ الحرية والمسؤولية في حياته اليومية، مثل اتخاذ قرارات شخصية ومواجهة التحديات بدلاً من الهروب منها.
 - إسهام سارتر في الأدب والفن: يمكن أن تعكس النتائج أيضًا كيفية تأثير فلسفة سارتر على الأدب والفن، من خلال تقديم رؤى جديدة حول التعبير الإنساني والبحث عن المعنى.
- تساعد هذه النتائج في تقديم فهم عميق للفلسفة الوجودية لسارتر وتأثيرها على كيفية رؤية الأفراد لعالمهم وحياتهم الشخصية.

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (2008)
- [2] جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1988).
- [3] جان بول سارتر، تر: عبد المنعم الحفني، الوجودية مذهب إنساني، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، (1964)
- [4] جان بول سارتر، تر: محمد، غنيمي هلال، ما الأدب؟، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (2000)..
- [5] جون ماكوري، تر: إمام عبدالفتاح إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، (1986).
- [6] عبدالرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (1980).
- [7] عبدالرحمان شاهد، عبدالقادر العشابي، أنطولوجيا الذات في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 17، العدد: 01، الجزائر، 2024، ص73
- [8] فهد مصطفى، التكيف النفسي، دار مصر للطباعة، مصر، (1987)..
- [9] لوك لوفاجر، تر: حنا دميان، سارتر والفلسفة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (1954).
- [10] (محمد شحاته ربيع، علم نفس الشخصية، دار حياة المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، (2012).
- [11] محمد عطية، الأبراشي. الشخصية، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، مصر، (1944).

التهميش والاقتباس

- (1) عبدالرحمان شاهد، عبدالقادر العشابي، أنطولوجيا الذات في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 17، العدد: 01، الجزائر، 2024، ص 73
- (2) جان بول سارتر، تر: عبدالمعزم الحفني... الوجودية مذهب إنساني، مطبعة الدار المصرية، القاهرة 1964، ص 14.
- (3) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص 14.
- (4) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، م.س، ص 14.
- (5) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، م.ن، ص 20.
- (6) محمد عطية، الأبراشي. الشخصية، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، مصر، 1944، ص 14.
- (7) أحمد محمد عبدالخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص 30.
- (8) جان بول سارتر، تر: محمد، غنيهي هلال... ما الأدب؟: دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 2000، ص 57.
- (9) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، م.س، ص 10-11.
- (10) محمد شحاته ربيع.. علم نفس الشخصية.: دار حياة المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2012، ص 32.
- (11) جان بول سارتر، تر: محمد، غنيهي هلال، م.س، ص 56
- (12) جون ماكوري، تر: إمام عبدالفتاح إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، 1986، ص 12
- (13) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص 6.
- (14) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث. م.ن، ص 7.
- (15) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث. م.ن، ص 14-15.
- (16) جون ماكوري، تر: إمام عبدالفتاح إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، 1986، ص 15
- (17) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص 14
- (18) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث، م.س، ص 31.
- (19) فهد مصطفى.. التكيف النفسي، دار مصر للطباعة، مصر، 1987، ص 14.
- (20) جون ماكوري، تر: إمام عبدالفتاح إمام، الوجودية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الكويت، 1986، ص 15
- (21) لوك لوفاجر، تر: حنا دميان، سارتر والفلسفة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1954، ص 16
- (22) لوك لوفاجر، تر: حنا دميان، سارتر والفلسفة، م.ن، ص 26
- (23) جان بول سارتر، تر: جلال العشري، من الوجودية إلى العبث، م.س، ص 13
- (24) عبدالرحمان بدوي. دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص 284.
- (25) لوك لوفاجر، تر: حنا دميان، سارتر والفلسفة، م.س، ص 29.